اللغة العربية بين الدراسات المعرفية والبحث البيني

(The Arabic Language between cognitive studies and interdisciplinary research)

إعداد

أ.د/ محمد بن عبد العزيز العميريني

Dr. Mohammed Abdulaziz Al-Amirini

أستاذ الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية- أبوظبي

Doi: 10.21608/mdad.2023.338971

استلام البحث ٢٠٢٣/٩/٩

قبول النشر ٢٠٢٣/٩/٢٤

العميريني، محمد بن عبد العزيز (٢٠٢٣). اللغة العربية بين الدراسات المعرفية والبحث البيني. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ١٩٥-٢١٢.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اللغة العربية بين الدراسات المعرفية والبحث البيني

المستخلص:

لقد غدت "بينية التخصصات" (interdisciplinarité) حتمية معرفية لا يمكن تجاوزها، إذ تولدت فروع معرفية من حادثة انصهار عدة علوم ومقاربات مختلفة وإن كانت البينية في العصور القديمة واقعة ثقافية يدركها كل من يقرأ في سير الأدباء والعلماء كـ "ابن سينا" (ت٤٢٧هـ) الذي جمع بين الطب والفلسفة والأدب والموسيقى، فشاعت المعرفة الموسوعية، بما هي رؤيا مختلفة تبتعد عن يوتوبيا التخصص الدقيق وعزلة الجزر المعرفية المتناثرة، التي أفرزها الدرس البنيوي، حين أغلق النصوص/نسقيا في بنيات محايثة Immanence، وقد تمخض هذا الاتجاه المعرفي الجديد في النصف الثاني من القرن العشرين نتيجة للانفجار المعلوماتي، وتغير المعطيات العلمية والحضارية لكل ثقافة وأمة، مما فرض على الدرس العلمي المعاصر التوجه نحو الحقل العابر للتخصصات، لقدرته على حل الإشكالات العالقة التي لم تسعفها جهود أهل الاختصاص الواحد، بل تقتضي التشارك بين عدد من العلوم؛ بهدف توسيع وجهات النظر والوصول إلى أكبر قدر من المخرجات العالية الجودة، كحصيلة تفاعل بين هذه الحقول. ومما لا شك فيه أن ربط اللغة بالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والموسيقى ومختلف الفنون التي تأخذ من طبيعتها وتتصل بها، بالإضافة إلى ربط المناهج النقدية بالتخصصات المتقاربة والمتجاورة؛ كالبلاغة الجديدة والأسلوبية والتداولية... وكتحليل الخطاب، الذي نشأ من تزاوج اللسانيات والنصوص الأدبية، أوجد تلاؤماً تخصصياً بينّياً يحدث لأول مرة بطريقة منظمة ومستمرة بين العلوم المعرفية الإدراكية، وعلم النفس المعرفي، وعلم الأعصاب في سبيل سبر أغوار الفهم والإدراك اللغوي عند الإنسان، بالاستفادة القصوى من المجالات العلمية والتكنولوجيا والطب العصبي والنفسي، للتمكن من فهم حقيقة التواصل اللساني، والوقوف على مصدر فهم الإنسان للأشياء، وحل لغز الذاكرة.. وغيرها من الاستعمالات اللغوية.

Abstract:

The interdisciplinarity has become an essential cognitive framework that cannot be overlooked. It emerged from the fusion of various sciences and different approaches. Interdisciplinarity in ancient times was a cultural phenomenon evident in the works of scholars like Ibn Sina (d. 427 AH), who combined medicine, philosophy, literature, and music. Encyclopedic knowledge became

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

widespread, offering a different vision that moved away from the utopia of narrow specialization and the isolation of scattered intellectual islands. This new cognitive direction emerged in the second half of the twentieth century due to the information explosion and the changing scientific and cultural landscape of every culture and nation. It compelled contemporary scientific education to move towards interdisciplinary fields, given their ability to solve complex problems that cannot be addressed by single-specialty efforts alone. Collaboration between multiple sciences became necessary to broaden perspectives and achieve high-quality outcomes resulting from the interaction between these fields.Undoubtedly, the connection of language with philosophy, psychology, sociology, anthropology, music, and various arts that are related to and derived from it, along with connecting critical approaches to related and adjacent disciplines such as new rhetoric, stylistics, discourse analysis, which emerged from the intersection of linguistics and literary texts, has created a specialized interconnection that occurs for the first time in an organized and continuous manner between cognitive disciplines, cognitive psychology, and neuroscience. This connection aims to delve into the depths of human understanding and linguistic cognition by maximizing the utilization of scientific fields, technology, neuroscience, and psychology. It aims to understand the true nature of language communication, explore the sources of human understanding of things, and solve the mystery of memory, among other linguistic applications.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- تقديم:

تولدت حقول معرفية جديدة نتيجة التداخل ما بين حقلين أو أكثر من حقول المعرفة، ومما لا شك فيه أن ربط اللغة بالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والموسيقى ومختلف الفنون التي تأخذ من طبيعتها وتتصل بها، بالإضافة إلى ربط المناهج النقدية بالتخصصات المتقاربة والمتجاورة؛ كالبلاغة الجديدة والأسلوبية والتداولية... وكتحليل الخطاب، الذي نشأ من تزاوج اللسانيات والنصوص الأدبية، أحدثت هذه العلوم والمعارف تلاؤما بينَيا يحدث بطريقة منظمة ومستمرة بين اللغة ومختلف العلوم المعرفية الإدراكية، كعلم النفس المعرفي، وعلم الأعصاب في سبيل سبر أغوار الفهم والإدراك اللغوي عند الإنسان، بالاستفادة القصوى من المجالات العلمية والتكنولوجيا والطب العصبي والنفسي، للتمكن من فهم حقيقة التواصل اللساني، والوقوف على مصدر فهم الإنسان للأشياء، وحل لغز الذاكرة.. وغيرها من الاستعمالات اللغوية.

١- تحولات المعرفة من الموسوعية إلى البينية:

يرى الباحثون أن **"البينية"** مرحلة موالية لمرحلة **"الموسوعية"** كونها ظاهرة معرفية لازمت الحركة النشيطة العلمية، فميزة الفكر الموسوعي عرفت منذ فجر العلوم، إذ برز علماء أفذاذ في مختلف الحضارات الإنسانية أحسنوا نظم معارفهم في عقد ضم صنوف المعارف، وإذا يممنا بصرنا شطر حضارتنا العربية الإسلامية. وجدنا أنها قد أظلت ثلة من العلماء الموسوعيين ممن نهلوا من معين معرفي متعدد المشارب ما هيأ لهم ثقافة موسوعية متعددة العلوم وعابرة للتخصصات كالجاحظ وابن سينا والرازي وابن رشد.... ممن خلفوا رسائل علمية جمعت مع موسوعية الطرح، وأحادية التخصص تمكنا وتعمقا.

إن الفكر الموسوعي في حضارتنا العربية الإسلامية إنما كان ثمرة حقبة تبلت فكرة الالتفاف حول (**النص القرآني**) أولا بوصفه كتابا مؤسسا للاشتغال البحثي ولنمط مركب من التفكير يدفع نحو التعليل والبحث عن الأسباب والظواهر المباشرة وراء المسائل محل البحث، فتكونت كوكبة من العلوم التي تفاعلت وتكاملت؛ لإضاءة النص والاستضاءة به، فكان هذا الكتاب الكريم مسؤولا بدرجة أولى عن تأسيس هذا الفكر الموسوعي ومن خلفه العلماء الموسوعيين.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كما احتكم الاتجاه الموسوعي عموما إلى سياق مرحلة كانت لها خصوصيتها المعرفية، إذ يمكن القول إن "جوهر التقدم العلمي لم يكن مؤسسا على التعارض بين العلوم المختلفة الميادين، بل كان يسير على أساس تضافر مفردات أي علم وتوظيفه لما لدى العلوم. وقد استمرت هذه النزعة لفترة غير قصيرة مع الحضارة الغربية، إلى أن بدت بوادر متغيرات حضارية ومعرفية ظهرت تحت وطأة سياقات خارجية وداخلية فرضتها الحركة التوسعية للمعرفة باتجاه عمودي مع تزامن ظهور تخصصات تناسلت من الحقول المعرفية الكبرى، ما أنتج تراكما معرفيا أوجب من أهل العلم العمل على تقنين وتقعيد الذمم الأخرى"[١].

فهذه الحركة التخصصية الجديدة لا ينكر أحد فوائدها الجمة وثمارها الكبرى في اكتشاف مالم يكتشف بعد، سعيا لتطوير اللغة وإكسابها مزيدا من المرونة والتقنين، فإذا كان التفاعل سمة النزعة الموسوعية، فإن الانغلاق والاستقلال على مستوى اللغة والاصطلاح والمناهج سمة النزعة التخصصية، وهذه الوجهة بلا ريب ستولد "انعزال أهل كل تخصص عن غيرهم، مشتغلين بالمشاكل والقضايا الخاصة دون الاهتمام لعلاقة شواغلهم بما يجري في مجالات بحثية أخرى، ولا بدلالات نتائجهم وتأثيرها في تلك المجالات القريبة أو البعيدة في حياة الإنسان ومحيطه مما سيحدث فجوات فاصلة بين العلوم والمعارف، وهي إشارة نبه القدماء إلى خطورتها منذ عصروهم حين اعتبروا أن ما من طريقة أشد في القضاء الجذري على أي خطاب كعزل كل حقيقة فيه عن علاقاتها ببقية الحقائق: لأن الخطاب إنما ينشأ بالترابط المتعاضد للأشكال. هذا الانفصال انبثقت عنه مشاكل داخل الميادين، وأسئلة عالقة ما دعا إلى إعادة النظر في كثير من الأحكام التي كانت تعامل معاملة المسلمات، وبدت تلوح في أفق البحث العلمي دعوة إلى استراتيجية خطاب جديد ومهدت له.[٢]

١ خميس نادية، الدراسات البينية نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، المجلد ١٤، العدد ٢، ص٢٤٣.

٢ ينظر: بنخود نورالدين، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك بن سعود الإسلامية، ص٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٢ ـ مفهوم البينية في الفكر اللغوي:

١ـ عند الغرب:

لقد شهد مفهوم البينية في الأبحاث والدراسات جدلا واسعا كغيره من المفاهيم على نحو البنيوية والتفكيكية حال ظهورهما، ففي حين اعترف جملة من الباحثين أمثال روبرت بلانشيه (R. Blanché) بأن العلم والمعرفة منتوج بشري متغير يتغذى على نتاج بعضه، لا يزال فريق آخر يعتقد بأن قيمة التخصص العلمية لا تتحقق إلا بفصله عن سائر التخصصات، وأن ذلك هو ما يسمح للباحثين بالغوص في جوهر التخصص الواحد. فالبينية إذن: من المستجدات التي تحيل على علاقة التفاعل والتكامل بين حقلين أو أكثر من الحقول المعرفية، فهي نوع من التعاون بين التخصصات المختلفة أمام المشكلات المعقدة والتي يتطلب حلها شيئا من الاندماج المعرفي.

ويرتبط بهذا المصطلح _ Interdisciplinarity _ ثلاث دلالات مختلفة:

أولها: دلالة تعدد المعارف :Pluridisciplinarity وهو تكريس أكثر من حقل معرفي لخدمة موضوع أو قضية معينة، مع احتفاظ كل حقل بخصوصيته المنهجية ومنظومته المصطلحية بهدف تقريب وجهات النظر، والخروج بتصور اندماجي للمعرفة العلمية.

ثانيها: دلالة ما بين المجالات المعرفية interdisciplinarity وتقتضي ما يعرف بالتلاقح المعرفي؛ سعيا لبناء شبكة معرفية تتقاطع فيها جملة من التخصصات.

ثالثها: دلالة التعالي التخصصي :transdisciplinarityوهي تلك المعرفة التي تقر بأسبقية مفهوم النظام الجامع بين العلوم والمعارف، دون اهتمام بالحدود الفاصلة بينها، فنجدها تبحث في موضوع معين بالاعتماد على تخصصات محاورة وأخرى خارجة عن نطاقه.[٣]

ومن ـهناـ يتضح بأن التفكير البيني إما أن يكون في المجال المعرفي الواحد على نحو اللسانيات التي تشمل مجموعة من الحقول منها علم الأصوات، علم للعاجم، علم الدلالة، التداولية ...إلخ، مع المحافظة على الخصوصية المنهجية والمنظومة المصطلحية لكل حقل. أو أن يكون في مجالين مختلفين مثل علم اللغة وعلم الاجتماع، أو علم اللغة وعلم النفس، سعيا نحو مد جسر معرفي بين العلمين، وهناك نوع من الدراسات البينية

[٣] ينظر: ياقوتة لزرقي، البراغماتية وعلاقتها بالحقول اللسانية مقاربة بينية، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، الجزائر، المجلد ٥، العدد٢، ٢٠٢١، ص١٨٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الذي يعمل على إلغاء الحدود والحواجز الفاصلة بين العلوم ليسهل الاعتماد عليها في دراسة أي موضوع.

٢ـ عند العرب:

تعد اللغة مجالا واسعا لإعمال المنهج البيني والتفاعل المعرفي، وهذه المسلمة ليست وليدة الحضارة الحديثة، بل هي ناموس من نواميس المعرفة منذ القدم على اختلاف أضربها، فمنذ آلاف السنين "قد أجمعت الحكماء على أن العقل المطبوع والكرم الغريزي، لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب، ومثلوا لذلك بالنار والحطب، والمصباح والذهن، وذلك أن العقل الغريزي آلة والمكتسب مادة، وإنما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك، ولئن لم يصرح الدارسون ذلك العصر بمصطلح (**البينية**) بالمفهوم المتعارف عليه اليوم إلا أن الوعي به وبضرورته كان موجودا بالفعل، وهو ما نلاحظه من خلال أبحاثهم التي ميزها الانفتاح على مختلف المجالات من داخل اللغة وخارجها، فها هو صاحب الحيوان -الجاحظ (ت٢٥٥هـ)- يظهر ذلك في مقدمته قائلا: " وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربيا أعرابيا، وإسلاميا جماعيا فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة وأشرك بين علم الكتاب والسنة، وبين وحدان الخاصة وإحسان الغريزة"[٤]. فكثيرا ما اتخذ الجاحظ من كتبه حيزا لالتقاء المعارف وتلاقحها سعيا منه لتكوين رؤية تفاعلية تكاملية للعلوم على اختلافها، ولم يقتصر الأمر عليه وإنما تحلى هذا الوعي البيني في كثير من المدونات اللغوية منها: البلاغية، والأصولية، والفقهية، وغيرها.

٣ـ البينية ماهيتها ودلالاتها:

١ـ التعريف اللغوي:

إن الحديث عن البينية هو حديث عن مصطلح أخذ مكانة مفاهيمية داخل حقله المعرفي، لكن قبل حصره دلاليا في إطاره التخصصي، نجد أن لهذا المصطلح امتدادات في معاجمنا العربية؛ إذ جاء في لسان العرب: "البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة، ويكون الوصل؛ بان يبين بينا وبينونة وهو من الأضداد. وشاهد البين بمعنى الوصل.

٤ أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧، ص ٧٥- ٧٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قول الشاعر: لقد فرق الواشين بيني وبينها فقرت بذاك الوصل عيني وعينها

وقال قيس بن ذريح: لعمرك لولا البين لا يقطع الهوى ولولا الهوى ما حن للبين ألف

فالبين هنا الوصل"[٥].

وجاء في **المعجم الوسيط** "البين ما بين القوم من القرابة والصلة والمودة أو العداوة والبغضاء"[٦] وعليه نصل أن افتعال حدود فاصلة للتباعد والتنائي الذي يعرف بالبين، كما أن الوصل المبني على القرابة والمواءمة دال على البين، فكانت الكلمة بهذا من الأضداد.

٢-التعريف الاصطلاحي:

البينية من المصطلحات الناشئة في منظومتنا المعرفية العربية، رغم أنه عرف في الحضارة الغربية منذ منتصف القرن العشرين. وكلمة بينية (Interdisciplinary) مركب اسمي مكون من مقطعين((Inter ويعني بين، و (discipline) ويعني حقلا معينا من الدراسة.

ومن هذا المنطلق فالبينية: "عملية تقوم على الجمع بين كفاءات أو أفكار آتية من ميادين علمية أو فكرية مختلفة لتحقيق هدف مشترك، وذلك بالتوسل بمقاربات مختلفة لمواجهة مسألة بذاتها أو مشكل بذاته."[٧]

ويكون التداخل عادة وفق منهجين: تدخل بيني ضيق، يكون بين الحقول المتقاربة كحقل العلوم (فيزياء، كيمياء، جيولوجيا...)، أو العلوم الاجتماعية (كعلم النفس، علم الاجتماع وعلم الإنسان)، أو العلوم الإنسانية (الأدب، الفنون، التاريخ والفلسفة). أو تداخل بيني واسع يكون أكثر تعقيدا؛ إذ تتداخل فيه اختصاصات لم يكن من السهل تلاقيها قبل البينية من ذلك السبق المعرفي الذي توج به جون بروكمان J.Brokman ملحمة التحاور بين العلم والأدب في القرن الماضي بكتاب بيني غاية في الأهمية سماه الثقافة

٥ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٥٦، مادة بين.

٦ أنيس إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٩٦٠، مادة بين.

٧ جهاد كاظم، البينية نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، الرياض، السعودية، مجلد ٢٥، العدد٢، ٢٠١٣، ص٨٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الثالثة.[٨] وينتج عن هذا التداخل ما يعرف بالدراسات البينية Interdisciplinary (studies) وهي حقول معرفية جديدة تولدت عن التداخل ما بين حفلين أو أكثر من حقول المعرفة التقليدية (Discpline) متجاوزة بذلك فكرة التخصصات المغلقة، ومنفتحة على إمكانية تعابر الاختصاصات(Transdiscplinarity)وهي الفكرة التي طرحها إدغر موران Edgard Morin حين رأى أن "تاريخ العلوم ليس تاريخ نشوء الميادين وتكاثرها، بل هو أيضا وفي الآن ذاته تاريخ تجاوز الحدود الفاصلة بين الميادين، وتاريخ انتشار عدد من المشكلات من ميدان إلى آخر. إنه تاريخ انتقال المفاهيم وقيام ميادين مختلطة تنزع إلى الاستقلال هي أيضا. إنه أخيرا تاريخ نشأة عقد تنخرط فيها وتتلاحم وتندمج ميادين متعددة،[٩] وهذه الميادين المتولدة تحكمها ضوابط أبستمولوجية على مستوى الأداة، أو على مستوى المنهج كثمرة مقدمات منهجية مضبوطة، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- ✓ ـ إمكانية تقارض المفاهيم بين التخصصات بهدف انفتاح الرؤية ومرونة المراس؛ إذ البينية ضمانة للتجدد الدائم الذي من شأنه أن يشجع على حدوث تغيرات محتملة للأقيسة المعمول بها في مختلف الميادين، ومن أجل التحكم بهذه التغيرات تستند البينية إلى مفاهيم قادرة على أداء دور الفاعل الذي يربط الاختصاصات فيما بينها.
- ✓ ـ مراعاة مبدأ الوقوف على مسافة واحدة من التخصصات المتشاركة، فتكون البينية بذلك وسيلة لتحقيق هدف مشترك ينبني على حوار مثمر.
- ✓ ـ إن ميزة التفاعل بغرض التكامل بين مختلف الميادين العلمية جعل البينية حقلا معرفيا، وهي النتيجة التي خرج بها العلماء المختصون حين استبدلوا مصطلح العلم بمصطلح الحقل المعرفي.
- ✓ إن الحديث عن استراتيجية بديلة في البحث العلمي أصبح واقعا تمليه طبيعة العصر؛ فتشعب المعارف من جهة، وانحسار العالم تحت مظلة العولمة من جهة أخرى جعل العلوم تتداخل وتتمازج، فأصبح اختلاط العلوم بعضها ببعض هو القاعدة تقريبا.

---

٨ ينظر: رمضان صالح بن هادي، التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، ص١٤.

٩ ينظر: البينية نشأتها ودلالتها، ص٢٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وأخذت هذه العلوم في التزايد والامتزاج فيما بينهما، وأصبحت حدودها متحركة وغير ثابتة، فنشأت شبكة من العلاقات بين البنية العامة لهذا الحقل.[١٠]

٤- واقع اللغة في العالم العربي:

إن اللغة هي من أكثر أشكال التعبير بين البشر استعمالاً، يعدها الباحثون ركيزة التواصل في كل أنواع المعاملات، فنالت بذلك الاهتمام الأكبر في البحوث العلمية، وفي مجال الدراسات البينية التي لا غنى عنها في عصرنا. ونظرا لهذه الأهمية تنعقد سنوياً مؤتمرات وندوات للعمل على الإجابة على كثير من التساؤلات التي تطرح باستمرار في هذه التجمعات العلمية، والتي تبحث واقع اللغة والثقافة من جهة، ومن جهة أخرى اللغة العربية والهوية، في ظل الانقسامات المتعددة الوجوه في المجتمع برمته، وعلاقته بالأوضاع في المنطقة العربية المتمزقة أصلاً، والتي تعاني مشاكل في كل المجالات وفي ملامستنا لهذا المجال من خلال المناهج البحثية البينية قد نجد تعاونا معرفيا وتبادلا ثقافيا وعلميا بين مختلف المؤسسات العربية ذات الاهتمام الواحد، ولتسليط الضوء على الموضوعات،[١١] ومدار العمل فيها على الارتقاء من مجرد الجمع وتنضيد الرؤى البحثية المتنوعة والتعاون على كشف جوانب مختلفة من الموضوع نفسه إلى التفاعل الحقيقي والتبادل الفعال وتأثير التخصصات بعضها في بعض بل الاندماج أحيانا. وإذا كان بعض الباحثين يعلق على المسار البيني الطموح إلى تشكيل لغة علمية عامة ودقيقة من شأنها أن تسمح بالتعبير عن المفاهيم والاهتمامات والمساهمات العلمية لعدد من التخصصات، فإن أغلب الباحثين على وعي بأن الحدود غير ثابتة بين التخصصية المتعددة والتخصصية البينية، وأن المسار البيني نفسه درجات. "إن توحيد الكفاءات والمعارف التخصصية يمكن أن يكون على مستويات متنوعة من التفاعل. فقد يتعلق بعمليات نقل أو استعارة مفاهيم أو طرائق من حقل علمي إلى آخر أو تهجين أو تقاطع بين التخصصات، بل إنشاء حقول بحثية جديدة من خلال المزاوجة بين تخصصين أو أكثر"[١٢] .

---

١٠ ينظر: الدراسات البينية نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي، ص٢٤٣.

١١ ينظر: سيدي محمد غيثري، اللسانيات التطبيقية والدراسات البينية، الجزائر، مجلة جسور المعرفة، الجزائر، المجلد ٨، العدد ٢، ٢٠١٦، ص٢٣.

١٢ خالد حوير الشمس، دليل الدراسات البينية، مراجعة عبد السلام حامد، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ٢٠٢٢، ص ١٣.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ـ تعليم العربية للناطقين بها وللناطقين بغيرها:

يقوم التعليم في أساسه على نقل مجموعة من الخبرات والمعارف إلى المتعلمين قصد مواجهة الحياة، وتحصيل مختلف المعلومات، ومن يتأمل العملية التعليمية ومكوناتها الأساسية في معظم البلدان العربية، يجد أن هناك قصورا واختلافا بين معظم المثقفين؛ أي أن العملية التعليمية يشوبها بعض العراقيل والمشاكل التي تقف عائقا أمام استيعاب التلاميذ.

١ـ تعليم العربية للناطقين بها:

يبدأ تعليم العربية لأبنائها من بداية التعليم الابتدائي، ويستمر إجباريا في مراحل التعليم العام كلها، لكن نوع التعليم وحجمه والوقت المخصص له يختلف من بلد عربي لآخر، ولا ننكر بأن تعليم العربية اليوم يشهد ضعفا، ويرجع هذا الأمر في أساسه إلى غياب المنهج العلمي، الذي يفرض وضع خطط لتعليم العربية.

وعليه؛ فإن تعليم العربية لأبنائها يختلف من بلد عربي لآخر، لكنها في الآن نفسه تعرف ضعفا منهجيا، قد يعود إلى المقرر الدراسي أو إلى طرق التدريس المتبعة من قبل المعلمين. ويهدف تعليم اللغة من البداية إلى تمكين التلميذ من أدوات المعرفة عن طريق تزويده بالمهارات الأساسية في فنون اللغة العربية، وهي الاستماع والحديث والقراءة والكتابة، ومساعدته على اكتساب عاداتها الصحيحة، واتجاهاتها السليمة، والتدرج في تنمية هذه المهارات على امتداد صفوف هذه المرحلة، بحيث يصل التلميذ في نهايتها إلى مستوى لغوي يمكنه من استخدام اللغة استخداما ناجحا، عن طريق الاستماع الجيد والنطق الصحيح والقراءة الواعية، والكتابة السليمة". وبالتالي فإن تعليم العربية يروم أساسا إلى تزويد التلاميذ بالمهارات اللغوية من استماع وكلام وقراءة وكتابة، فلابد من إتقان هذه المهارات الأربع إتقانا تاما حتى يتسنى لهم تحصيل المعارف الأخرى.[١٣]

٢ـ تعليم العربية للناطقين بغيرها:

تعد اللغة العربية من أكثر اللغات انتشارا في العالم، حيث يزداد الإقبال عل تعلمها من الأجانب يوما بعد يوم، لكونها لغة تتسم بخصائص لا توجد في اللغات الأخرى، ولأنها لغة القرآن الكريم. إذ ينطلق تعليم العربية للناطقين بغيرها من كونها وسيلة الاتصال، فلا يكفي لتعلمها أن يتكلم بها، بل لابد أيضا أن يفهمها كما يتحدثها

١٣ ينظر: سمية الغول، استثمار آليات الدراسة البينية في تعليم اللغة العربية، مجلة موازين، المجلد٣، العدد٢، ٢٠٢١، ص٩١- ٩٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أبناؤها، فعملية الاتصال ليست متكلما فقط، بل هي تتضمن متكلما ومستمعا في ذات الوقت، ومن هنا فإن الاستماع والفهم مهارتين متكاملتين من مهارات اللغة التي ينبغي أن يتدرب المتعلمون عليها منذ بدء تعلمهم للغة العربية لأهميتها في السيطرة على اللغة سيطرة وظيفية.

كما تعد قواعد اللغة العربية (النحوية والصرفية) من أكثر المجالات غموضا وصعوبة في مناهج تعليم اللغة بشكل عام، ورغم هذه الصعوبة لابد من تدريسها؛ لأنها مظاهر حضاري من مظاهر اللغة، ودليل أصالتها، ولكونها ضوابط تحكم استعمال اللغة، وتعرض هذه القواعد قبل تعليمها في شكل مجموعة من الأسس الإجرائية التي لا تتعارض مع البديهيات اللغوية أو مبادئ علم النحو، وهي تتحدد أساسا من النحو التعليمي، لا النحو العلمي وتتسم بخاصية الشيوع والفائدة والضرورة [١٤].

٣ـ اللسانيات وعلاقتها بعلوم اللغة:

الشائع والمقبول في هذا أن "البينية" تطلق إطلاقا عاما ثم تخصص بحسب المجال، فيقال مثلا: البينية في الطب أو الموسيقى أو في علوم اللسانيات وهكذا، والذي هو معروف أيضا وأكثر قبولا في اللسانيات أن من أشهر تقاسيمها أنها نقسم إلى: لسانيات نظرية، ولسانيات تطبيقية يدخل فيها المعجمية الوظيفية ولسانيات المصطلح والترجمة واكتساب اللغة (مجال التعلم والتعليم) واللسانيات القانونية واللسانيات الحاسوبية وغير ذلك. ومن شواهد هذا الفهم قول روبير مارتان: "اللسانيات هي أحيانا وصفية، وأحيانا نظرية، وأحيانا عامة، فلسفية أو تاريخية، ويمكن أن تكون اختصاصا تطبيقيا، بل إن تطبيقاتها كثيرة التنوع " باختصار تعليمية الألسن، وعلاجية الاضطرابات اللغوية، التهيئة اللغوية" أو (التخطيط اللغوي)، و"بخاصة التطبيقات الآلية، إضافة إلى الترجمة واللسانيات القانونية والمعجم التاريخي والسياسة اللغوية.

وهكذا يكون وفق البينية إذا تمت الإفادة من الجنبة اللسانية في الحياة أو الوجود، يكون التوجه اللساني تطبيقا، مثلا الإفادة من اللغة وقوانينها وطبيعتها في معالجة أمراض الكلام، نحو الحبسة واللثغة وتأخر النطق، وبيان طبيعة تلك المعالجة البينية؛ لأنها أفادت من العلوم البيولوجية والنفسية واللغوية.[١٥]

---

١٤ ينظر: السابق، ص٩٤.

[١٥] ينظر: دليل الدراسات البينية، ص ١١٣.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أما ما تعلق مفهوم اللسانيات البينية، مرجعه إلى أن "البينية في اللسانيات" لا جدال فيها، شأنها شأن العلوم والمعارف الأخرى ذات العلاقات البينية، فضرورة التفريق بين مستويين في دراسة اللغة: الأول: دراسة اللغة في مستوى علوم البنية الداخلي (الصوتيات والصرف والنحو والمعجم والدلالة). والمستوى الثاني: دراسة اللغة فيما يخرج عن دائرة المستوى الأول، كاللسانيات النفسية والاجتماعية والتداولية والقانونية والإعلامية ولسانيات النص وتحليل الخطاب وغيرها، والانتقال من دراسة المستوى الأول إلى المستوى الثاني يتم عن طريق الدلاليات، والتداخل أو الاتصال في الدراسة بين فرع وآخر في المستوى الأول الداخلي (مستوى علوم البنية) يوصف بأنه دراسة لسانية بينية، والمصطلح المناسب المقترح لهذا في الإنجليزية هو (intralinguistics) ومن أمثلة ذلك "البينية" بين علم الأصوات والصرف في دراسة الاشتقاق أو الإعلال والإبدال، وكذلك البينية بين الفتحة والضمة والكسرة بوصفها مورفيمات إعراب صرفيا وعلاقتها بالنحو، وأما الاتصال بين علم من علوم البنية اللغوية والحقول المعرفية الخارجية الأخرى التي تقع في المستوى الثاني، فهذا الأولى فيه أن يسمى باللسانيات الموسعة (Extended Linguistics) أو المتعالقة[١٦].

لقد تحولت اللسانيات في الفكر الإنساني الحديث ...إلى شجرة علوم تحاكي في شكلها المعرفي العام ما كانت عليه الفلسفة أو الحكمة في العصور القديمة، وقد شهدت هذه الشجرة من المعارف من التناسل والتوالد والتفاعل بين العلوم الإنسانية ما جعلها بحق أم العلوم الإنسانية الحديثة.

و-هنا- نتطرق إلى جملة التخصصات العلمية التي أفرزتها الأبحاث اللسانية فهي وإن كانت علما مستقلا بذاته إلا أن الحدود بينها وبين علوم اللغة الأخرى ماهي إلا فواصل منهجية لا يفتأ الباحث أن يتخطاها لحل قضية من القضايا التي تصادفه أثناء بحثه، وقد تحدث عن هذه المجالات البيئية اللسانية دافيد كريستال في موسوعته اللغوية الموسومة بالمجالات البيئية، نذكر منها:

اللسانيات التطبيقية :Applied Linguisticsوتقوم على تطبيق النظريات والمناهج اللسانية وما توصلت إليه البحوث لتوضيح القضايا اللغوية في ميادين أخرى، واللسانيات

١٦ ينظر: السابق، ص ١٣٣

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التطبيقية مصطلح وضع أساسا ليعبر عن تعلم اللغة الأجنبية وتعليمها، إلا أنه ينطبق على العديد من الحقول منها الأسلوبية، المعجمية، الترجمة...إلخ.

اللسانيات الحاسوبية :Computational Linguisticsويطلق عليها أيضا علم اللغة الحاسوبي، ويتضمن دراسة اللغة والمفاهيم الخاصة بالحاسوب، وبخاصة ما تعلق بقضايا حقل الترجمة الآلية واسترجاع المعلومات، والذكاء الاصطناعي.

اللسانيات الفلسفية :Philosophical Linguisticsوهي دراسة اللغة والدور الذي تقوم به لتوضيح مفاهيم الفلسفية البراغماتية.

اللسانيات الاجتماعية: والتي تعني بدراسة التفاعل بين اللغة وعلم الاجتماع.[١٧]

٤- التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب:

إن العلاقة بين التداولية وتحليل الخطاب تابعة من الأشياء المشتركة بينهما في دراستهم للظاهرة اللغوية، يعنى بدراسة النصوص وفق السياق الذي وردت فيه مع الاهتمام بالأطراف المساهمة في إنتاج النص وهي: المخاطب، والمخاطب، والمقاصد، والسياق، والمبادئ الحوارية.

فبعد أن كان اهتمام الباحثين -حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين- موجها نحو دراسة الحملة وفقا للمستوى الصوتي والتركيبي والدلالي، أصبح الاهتمام اليوم منصبا على ما يعرف بتحليل الخطاب سواء كان هذا الخطاب مكتوبا أو شفويا، ومرد ذلك أن الجملة قد تكون منسجمة مع القواعد المذكورة آنفا من صوت وصرف ونحو ودلالة، فتلقى بذلك القبول إذا وردت في سياقها المناسب، وترفض إذا حادت عنه، ومن هنا جاء تحليل الخطاب بهدف " دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النص مهما كان حجمه، ويهتم هذا الميدان أيضا بدراسة اللغة في سياقها .

من بين المدارس التي أسهمت في توسيع نطاق تحليل الخطاب وانفتاحه على اختصاصات أخرى مدرسة تحليل المحادثة Conversationnel Analysis بوصفها مدرسة بينية أوجدت صلة بين تحليل الخطاب وجملة من الاختصاصات منها التداولية

١٧ ينظر: البراغماتية وعلاقتها بالحقول اللسانية مقاربة بينية، ص ١٩٤

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وعلم الاجتماع، فعند النظر إلى محلل الخطاب ومحلل المحادثة والدرس الحجاجي لا نجد ذلك التمايز المعرفي الكبير وإنما جميعهم أطراف وحدت لخدمة البحث التداولي.[١٨]

٥ـ التداولية وعلاقتها بعلم اللغة النفسي:

علم اللغة النفسي علم" يدرس الوظائف السيكولوجية للغة وآثار اللغة على علاقات الفرد والجماعة ووظائفها الأولية وتطوير الاتصال والتواصل بين الناس وتحسينه ليمكننا من استخدام المفاهيم كأدوات للتفكير وأن يدرس اللغة كوسيط للتعبير عن المشاعر الانفعالات"، فهو الدراسة النفسية للعمليات اللغوية وعلاقتها بالأفراد مستخدمي اللغة، كما تشمل العمليات التي بها يصدر المتكلم أو الكاتب إشارات أو رموزا والعمليات التي بها تفسّر تلك الإشارات والرموز"، ذلك أن دراسة اللغة توسعت وانفتحت على العديد من الحقول المعرفية مما أفرز العديد من التخصصات الجديدة من بينها علم اللغة النفسي.[١٩]

خاتمة:

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

ـ تُعد (**البينية**) من المستجدات التي تحيل على علاقة التفاعل والتكامل بين حقلين أو أكثر من الحقول المعرفية، فهي نوع من التعاون بين التخصصات المختلفة أمام المشكلات المعقدة التي يتطلب حلها شيئا من الاندماج المعرفي.

ـ مهما تنوعت صور المعرفة بتنوع فروع اللغة، فإنها شكلت توليفات أغنت فكانت تلك بينية من دون أن يشعر القائمون عليها، ودون أن ينضج العلم البيني قبل ذلك، فلقد مورس بصور جزئية، يتناغم مفهومها مع ما قامت به مختلف الأبحاث والمعارف.

ـ تاريخ العلوم ليس تاريخ نشوء المعارف والعلوم وتكاثرها، بل هو -أيضاً- وفي الآن ذاته تاريخ تجاوز الحدود الفاصلة بين المعارف، وتاريخ انتشار عدد من المشكلات من ميدان إلى آخر. إنه تاريخ انتقال المفاهيم وقيام ميادين مختلطة تنزع إلى الاستقلال هي هذه الميادين المتولدة تحكمها ضوابط أبستمولوجية إما على مستوى الأداة، أو على مستوى المنهج كثمرة مقدمات منهجية مضبوطة، غير أن تمازج الاختصاص لا يعني إهدار الاختصاص في الآن نفسه.

---

١٨ ينظر: السابق، ص١٩٦.

١٩ ينظر: المرجع نفسه، ص١٩٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ـ وأخيرا إذا نظرنا إلى (البينية) كأي مصطلح جديد يدخل الساحة المعرفية لم يتفق الدارسون بعد على تحديد مفهومها بشكل دقيق، غير أن معالم هذا الفكر وأسسه المنهجية صارت واضحة، ولعل مرد ذلك إلى قلة الأبحاث والدراسات التي تتعمق في هذا الموضوع؛ لأن مدار الأمر حاليا هو الإقرار بنجاعة هذا المنهج الجديد والحاجة إليه لإحراز التقدم في مختلف المجالات والمعارف.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المراجع:

- ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٥٦.
- أنيس إبراهيم ، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٩٦٠.
- بنخود نورالدين، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك بن سعود الإسلامية.
- الجاحظ ، عمرو أبو عثمان، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧.
-جهاد كاظم. البينية نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، الرياض، السعودية، مجلد ٢٥، العدد٢، ٢٠١٣.
- خالد حوير الشمس، دليل الدراسات البينية، مراجعة عبد السلام حامد، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ٢٠٢٢.
-خميس نادية، الدراسات البينية نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، المجلد ١٤، العدد ٢.
- رمضان صالح بن هادي، التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية.
- سمية الغول، استثمار آليات الدراسة البينية في تعليم اللغة العربية، مجلة موازين، المجلد٣، العدد٢، ٢٠٢١.
- سيدي محمد غيثري، اللسانيات التطبيقية والدراسات البينية، مجلة جسور المعرفة، الجزائر، المجلد ٨، العدد ٢، ٢٠١٦.
- ياقوتة لزرقي، البراغماتية وعلاقتها بالحقول اللسانية مقاربة بينية، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، الجزائر، المجلد ٥، العدد٢، ٢٠٢١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898